مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com ISSN online: 2414-3383 ISSN print: 2616-3810
العدد (31) تشرين الثاني - نوفمبر 2018

الطب العربي الإسلامي في بلاد الأندلس (طريق أوروبا إلى النهضة)

الدكتور
معازيز عبد القادر
المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان و التاريخ- CNRPAH الجزائر
الأستاذة الدكتورة
بن منصور مليكة
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان – الجزائر
maziz033@gmail.com

الخلاصة

مارس العرب قبل مجيء الإسلام كغيرهم من الأمم ممارسات علاجية كحاجة إنسانية حتمية، في سيرورة لتلك الحلقة الهادفة للقضاء على جميع الأمراض التي كانت تصيب جسم الإنسان، من خلال محاولة تفسيرها و فهم أسبابها، ثم التشخيص لإيجاد العلاج، مع الاستفادة من ما تجود به الطبيعة، و لعل ذلك ما أعطى صفة مميزة لطبيعة ذلك العلاج بجميع أنواعه، و مع مجيء الإسلام، و نهيه عن عديد الأوجه العلاجية التي قد تؤدي بالإنسان إلى الشرك بالخالق، و تهذيبه لطرق العلاج، مع تقديمه لتفسيرات علمية منطقية لتلك الأمراض، وجه فيها القرآن الكريم و السنة النبوية الإنسان إلى أفضل السبل للعلاج و أكثرها حفاظا على صحته، و ضمانا لعلاجه، كل ذلك أضفى صفة العالمية لرسالة الطب في الإسلام التي انتشرت مشرقا و مغربا، حيث استفادت من تجارب الأمم السابقة، و أضافت لها و طورتها، حتى أقبل الناس عليها للاستفادة منها، فانتقلت تلك التجربة عبر العديد من الطرائق، من ذلك الاحتكاك بالأمم من خلال المعابر كصقلية و الأندلس، أو حتى الحروب كالحروب الصليبية، و تركز هذه الدراسة على "شبه الجزيرة الإيبيرية"، أو "إسبانيا المسلمة" أو "الأندلس"، أو "فردوس المسلمين المفقود"، لما قدمته هذه البلاد أيام أوج الحضارة الإسلامية للإنسانية في مختلف الميادين، من ذلك العمل على تطوير مختلف العلوم، كان على رأسها "الطب" و التي استفاد منه الغرب، و طوروه حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم، و لمعالجة ذلك حاولنا التركيز على أهم النقاط التالية :التطرق للمحة حول الطب العربي الإسلامي، ثم انتقال العرب إلى الأندلس، و نقلهم للخبرة الطبية العربية الإسلامية و أهم منجزاتهم الطبية في الأندلس، مع ذكر لألمع العلماء المسلمين و دور رحلتهم في تطور الطب في الأندلس، مع الإشارة إلى بعض مظاهر استفادة أوروبا من ذلك في الأندلس

Arab-Islamic Medicine in the Land of Andalusia

(The road to Europe to the Renaissance)

Pro.Maziz Abdelkader
CNRPAH
Algeria
Pro. Benmansour malika
Université Abou Bekr Belkaid Tlemcen

ABSTRACT
Like other nations, the Arabs practiced therapeutic practices as an inevitable human need in the process of that vicious circle, before the advent of Islam, aiming at eliminating all diseases that affected the human body by trying to explain them and understand their causes. And this may have given a distinctive characteristic of the nature of that treatment of all kinds, and with the arrival of Islam, and the many aspects of treatment that may lead the man to disbelief, and refinement of the methods of treatment, while providing logical explanations of these diseases, the holy Quran and the prophetic Sunnah guided men to the best ways of treatment and the most important of which is to preserve his health and to guarantee his treatment. All this has added to the universal character of the message of medicine in Islam, which has spread brightly in the Maghreb, where it has benefited from the experience of the previous nations and developed it, so that people benefited from it. This experience had gone through many methods, such as friction with nations through the crossings as Sicily and Andalusia, or even wars such as the Crusades. This study focuses on the "Iberian peninsula," "Muslim Spain" or "Andalusia," or "paradise of Muslims lost", for its importance in presenting the days of the Islamic civilization of humanity in various fields, among which the development of various sciences, especially "medicine", which benefited the West, and developed until it reached what it is today, and to investigate this we tried to focus on the most important points: to deal with the overview on Arab Islamic medicine, then the transfer of Arabs to Andalusia, the most important medical achievements in Andalusia, by mentioning the most brilliant Muslim scientists and the role of their journey in the development of medicine in Andalusia, with reference to some aspects of the benefit of Europe in Andalusia.

تمهيد

الطب العربي الإسلامي منبثق من الحضارة العربية الإسلامية، و المميز لهذه الحضارة بعد مجيء الإسلام، وانفرادها عن الحضارات الإنسانية باستنباط صورها من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة[1]، و الطب العربي الإسلامي هو كل ما استمد من ما هو طب عربي قديم[2]، إذ عرف التطبيب في أقدم عصور الجاهلية على طريقة البداوة في مزج الطب و الكهانة، و علاج الأمراض بالوسائل البدائية، فكان لكل قبيلة عرافها الذي يستشار، و كان طب هؤلاء العرافين يخلط بين الرقى و التبخير و تعاطي الأدوية التي تقترن بالعزائم و التعاويذ، و مع العرافين أطباء مختصين بالعلاج، و الظاهر أن اشتغال العرب الطويل برعي الماشية قد باعد بينهم و بين طب الكهانة و الخرافة، و قارب بينهم و بين طب التجارب العلمية[3]؛ على أن ذلك الطب لازال يمارس في بعض الدول العربية على أيدي من يطلق عليهم الناس لقب الحكيم[4].

كما أن الطب العربي الإسلامي يعرف على أنه كل ما يتصل بالصحة، و المرض و العلاج، و المعلومات الطبية، و الإرشادات الصحية في الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة[5]؛ إذ و بعد مجيء الإسلام قضى على الكهانة و فتح الباب للطب الطبيعي على مصراعيه، لأنه أبطل المداواة بالسحر و الشعوذة و لم يحدث في مكان الكهان طبقة جديدة تتولى العلاج باسم الدين[6].

وفي هذا الصدد سجل اهتمام كبير و عناية بالغة بالطب من لدن المسلمين باعتباره أحد الأبواب الهامة للعلوم الإسلامية الصرفة، فدرسوا و استفادوا من تجارب و خبرات حضارات الأمم و الشعوب القديمة، و أضافوا عليها[7]، فالفضل للعرب بتجاربهم و أبحاثهم العلمية في تطوير ما أخذوه من مادة خام عن الإغريق، ليشكلوا تشكيلا جديدا، "فالعرب في الواقع، هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة"[8].

تلك التجربة العربية الإسلامية العلمية تم نقلها إلى أسقاع المعمورة منها بلاد الأندلس[9]، التي تعتبر من أهم المعابر التي نقلت من خلالها المعارف و العلوم إلى الغرب الذي بنى عليها، ليصل إلى ما وصل إليه في وقتنا الحاضر.

"لقد أعطى الإسلام الذي كان قد خلق توافقا و اندماجا بين حضارتين متضادتين باستناده على فكره الكوني و صفة التسامح لمفهومه الديني، و باعتماده على قدرته الهائلة في التمثل و الإبداع و ميله المتميز إلى التجريب و الاختبار ثمارا عظيمة في بلاد الأندلس التي شهدت أهم اندماج عرقي و حضاري بين الشرق و الغرب ..."[10].

لقد أزدهر علم الطب[11] ازدهارا عظيما بين مسلمي الأندلس[12]، و بلغ ذروته في عصر الخلافة الأندلسية[13] (316-422ه/929-1036م) منذ تولي عبد الرحمن الناصر (الثالث)[14] الحكم في الأندلس عام [(300-350ه) (912-961م)] و ابنه الخليفة الحكم المستنصر بالله[15] (350-366ه/961-976م) الذي يرجع إليهما الفضل في إنشاء أول جامعة متطورة في قرطبة[16].

يعتبر علم الطب و ما يلحق به من علوم أخرى من أبرز العلوم التي حازت على اهتمام و عناية الأندلسيين، بل و يأتي في مقدمة العلوم التجريبية من حيث النشاط و وفرة الإنتاج العلمي في الأندلس، و كان الأندلسيون يعتمدون في دراستهم لمسائل الطب على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له: :"الإبريشم"[17] أي "الجامع" و لم تكن لهم بصارة بصناعة الطب"[18].

ذلك الازدهار لم يكن لولا جهود خيرة علماء الأندلس، من مسلمين و يهود و نصارى، و الوافدين عليها، و الذين قاموا أيضا برحلاتهم إلى المشرق، و عمقوا دراساتهم الطبية، حتى وصلوا بها إلى تلك الدرجة الرفيعة، بفضل منهجهم العلمي التجريبي باعتراف الغرب، إذ و في هذا الصدد، ذكرت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكة" أن: " العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال و نظموها و رتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء و الطبيعة و الحساب و الجبر و الجيولوجيا و حساب المثلثات و علم الاجتماع، و بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات و الاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم و التي سرق أغلبها و نسب لآخرين، قدم العرب أثمن هدية و هي طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة و تسلطه عليها اليوم ..."[19].

و قد اشتهر من أولئك العلماء ببلاد الأندلس:

- ابن السمح: هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح المهندس الغرناطي "كانت له عناية بالطب"[20].
- الكرماني أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني من أهل قرطبة "له عناية بالطب و مجربات فاضلة فيه، و نفوذ مشهور في الكي و القطع و الشق و غير ذلك من أعمال الصناعة الطبية، رحل إلى ديار المشرق، وانتهى منها إلى حران من بلاد الجزيرة، و عني هناك بعلم الهندسة و الطب، ثم رجع إلى بلاد الأندلس، و استوطن مدينة سرقسطة[21].
- حمدين بن أبان: كان في أيم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، و كان طبيبا حاذقا مجربا..."[22].
- جواد الطبيب النصراني (207ه-822م/272ه-886م): و كان أيام الأمير محمد.
- خالد بن يزيد بن رومان النصراني: و الذي كان بارعا في الطب ناهضا في زمانه فيه و كان بقرطبة، كسب بالطب مبلغا جليلا من الأموال و العقار، كان صانعا و عالما بالأدوية الشجارية، و ظهرت منه في البلد منافع و كتب، و الذي أعقب ابنا سماه يزيد، و لم يبرع في الطب براعة أبيه[23].
- ابن ملوكة النصراني، و الذي كان في أيام الأمير عبد الله، و أول دولة الأمير عبد الرحمن الناصر.
- عمران بن أبي عمرو "كان طبيبا نبيلا خدم الأمير عبد الرحمن الثاني بالطب"[24].
- يونس بن أحمد الحراني و الذي وفد على الأندلس من المشرق في إمارة محمد بن عبد الرحمن (338ه-852م/273ه-886م)، و استقر هناك "كانت عنده مجريات حسان في الطب، اشتهر بقرطبة، إضافة لابنيه "أحمد" و "عمر".
- إسحاق الطبيب والد الوزير ابن إسحاق مسيحي النحلة، كان مقيما بقرطبة "كان صانعا بيده".
- يحي بن إسحاق: كان طبيبا ذكيا عالما بصيرا بالعلاج صانعا بيده، و كان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله، ألف في الطب كتابا يشتمل على خمسة أسفار ذهب فيها مذهب الروم.
- الزهراوي: أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المعروف باللاتينية (Abulcasia) ولد بمدينة الزهراء بقرطبة عام 325ه/937م[25].
- سليمان أبو بكر بن تاج، كان في دولة الناصر و خدمه بالطب، و كان طبيبا نبيلا و"عالج أمير المؤمنين الناصر من رمد عرض له، و عالج صاحب البريد من ضيق النفس"[26].
- و كان سعيد بن عبد ربه "طبيبا ذا شهرة" كان يعرف في الأندلس في حدود سنة 300ه/921م بأنه من المجيدين في الطب و الفلك و الشعر[27].
- عمر بن حفص بن برتق، كان طبيبا فاضلا قارئا للقرآن الكريم، درس في القيروان على ابن الجزار أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني (خلال النصف الأول من ق 10ه/16م)، و أخذ عنه كتاب "زاد المسافر" في علاج الأمراض، و هو كتابه الرئيسي و هو الذي أدخله إلى الأندلس[28].
- أصبغ بن يحي الطبيب، و الذي كان متقدما في صناعة الطب، و خدم بها الناصر و ألف له "حب الأنيسون".
- و محمد بن عبدون الجملي العذري، رحل إلى مصر، زار بيمارستانها، و مهر بالطب، و نبل فيه، و أحكم كثيرا من أصوله[29].
- عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم، من أعيان أطباء الأندلس و فضلائها، كان من أهل قرطبة، له من الكتب: كتاب الكمال و التمام في الأدوية المسهلة و المقيئة، كتاب الاقتصار و الإيجاد في خطا بن الجزار، كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء، ولد و توفي بقرطبة بالقرن الرابع هجري العاشر ميلادي[30].
- ابن جلجل: هو أبو داوود سليمان بن حسان يعرف بان جلجل، كان طبيبا فاضلا خبيرا بالمعالجات جيد التصرف في صناعة الطب، و كان في أيام هشام المؤيد بالله و خدمه بالطب و له بصيرة و اعتناء بقوى الأدوية المفردة، و قد فسر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديقوريدس[31] العيرزبي و أفصح عن

مكنونها[32]، حيث ظل كتابه الأدوية المفردة أعظم مرشد لخواص الأعشاب الطبية، و له قيمة علمية بالرغم من التقدم الطبي حتى الوقت الحاضر.

و قد ترجم في بغداد في عهد الخليفة المتوكل العباسي (232-247ه)، على يد "آصف" أو "اسطفن بن باسيل" الترجمان من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، و قام بمراجعة الترجمة "حنين بن إسحاق" حيث وضع اسطفن أسماء عربية للنباتات في مقابلة الكلمات اليونانية، غير أن بعض الأسماء ظلت على صورتها اليونانية لعد معرفته بها، و هنا جاء دور الأندلس لتكملة ذلك، حيث أن الناصر لما وصلته نسخة من هذا الكتاب كلف طبيبه الخاص "حسداي بن اسحاق" و "حمد النباتي" و "عبد الرحمن بن الهيثم" و "أبو عبد الله الصقلي"، كان له إلمام بالعقاقير، و النباتات بالنظر فيه و ترجمته، غير أنه لم يكن لديهم إلمام باليونانية، فأرسل إلى الإمبراطور يطلب منه إرسال مترجم فأرسل الراهب "ينقولا"، ففسر أسماء العقاقير المجهولة، و تتلمذ على يديه كثير من المهتمين بدراسة الطب و الأعشاب، و كان لذلك أثره في إقبال الكثير من الأندلسيين على دراسة الطب و العقاقير متخذين من هذا الكتاب مصدرا رئيسا لهم[33].

ابن زهر: إذ امتهنت أسرته من بعده مهنة الطب، من ألمع الأسر الأندلسية في علوم الطب، فالعالم محمد بن زهر، كان ابنه عبد الملك أول أطباء هذه الأسرة ثم خلفه ابنه زهر، فقد فاق على أبيه و قد التحق ببلاط المعتمد بن عباد حيث تركت هذه الأسرة مكتبة علمية في علم الطب و الدواء[34].

و اشتهر من أولئك الأطباء عدد كبير منهم، أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر من أهل طليطلة، أحد المعتنين بعلم الهندسة و النجوم و الطب، و محمد بن فتح طلمون، كان مولى لعمران بن أبي عمرو، و برع في الطب براعة علا بها من كان في زمانه، و محمد بن نابع، و أبو الوليد بن الكتاني، و أبو عبد الله بن الكتاني، و أحمد بن حكم بن حفصون، كان "طبيبا عالما جيد القريحة حسن الفطنة"، و أبو بكر أحمد بن جابر "كان شيخا فاضلا في الطب"، و "أبو عبد الله الثقفي كانت له نوادر في الطب"، و أبو العرب يوسف بن محمد أحد المتحققين بصناعة الطب، و ابن الذهبي أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي أحد المعتنين بصناعة الطب، و إسحاق بن قسطار، و حسداي بن إسحاق، و أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي، و أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي من الفضلاء في صناعة الطب، و أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري من مرسيه من أعيان أهل الأندلس و أكبرهم، فاضل في معرفة الأدوية المفردة و قواها و منافعها و أسمائها، له من الكتب كتاب أعيان النبات و الشجريات الأندلسية. و أبو جعفر: أحمد بن محمد بن أحمد بين السيد الغافقي، و أبو الوليد ابن رشد هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، و ابن بكلارش كان يهوديا من أكابر علماء الأندلس...[35]، و غيرهم من علماء الطب في الأندلس الأفاضل.

و مما ساعد أولئك العلماء في تطوير مجال الطب في بلاد الأندلس هو حلهم و ترحالهم في سبيل الاستزادة من العلم، كان منهم على سبيل المثال يحي بن يحي المعروف بابن السمينة (ت:315ه/927م) من أطباء قرطبة و الذي كان "بصيرا بالحساب و النجوم و الطب متصرفا في العلوم" رحل إلى الشرق، وقرأ كتب المتكلمين، ثم عاد إلى الأندلس و توفي فيها[36].

و من أطباء الأندلس الراحلين للمشرق محمد بن عبدون الجبلي (رحل سنة 347ه/958م)، دخل مصر و البصرة، و تمهر في الطب، و أحكم كثيرا من أصوله، ثم رجع إلى الأندلس سنة (360ه/971م)، فخدم المستنصر بالله و المؤيد بالله في الطب[37].

و كان منهم أحمد بن يونس و أخوه عمر بن يونس بن أحمد الحراني، رحلا إلى المشرق في دولة الناصر، و أقاما عشرة أعوام، و دخلا بغداد، تأدبا بالطب، ثم دخلا الأندلس أيام المستنصر بالله سنة 351ه[38]، و كان منهم أيضا ابن زهر أبو مروان عبد الملك (ت. 470ه/1077م)، و حسداي بن إسحاق، و أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ...، و غيرهم.

و في هذا الصياغ تجدر الاشارة الى أن هؤلاء الأطباء استخدموا في ممارستهم الطبية الكثير من العقاقير المستخلصة من النباتات الطبية الطبيعية و المزروعة، و قد استخدم بعضها الأندلسيون في طعامهم فضلا عن استخدامها طبيا في علاج الطثير من الأمراض من بين النباتات نذكر منها :[39]

اسم النبات	استخداماته الطبية
الكرويا	نبات يستفاد منه في تخفيف آلام المغص الشديد و قتل الديدان و ينفع في طرد الريح التي تدخل الأمعاء.
المردقوش	نبات طبي يستخدم لعلاج داء الشقيقة و الصداع، و طبخه مع الخل ينفع من لسع العقرب
الكمون	من النباتات العشبية، من فوائده، إذا غسل الوجه بمائه زاده صفاء، و اذا سحق و خلط مع الحل و شم قطع الرعاف، و اذا طلى به المفاصل أزال أوجاعها و يطرد الريح و اذا نقع بالحل فإنه يقطع الشهوة
الشبت	من النباتات بقلية، يستخدم كمنوم، و ينفع من المغص، و عصارته تفتت الخصى
الكزبرة	تعرف بالكشفرة أيضا لها فوائد طبية و منها تصفي الدم، و اذا سحقت و ضمدت بها الورام زالت
الأفستين	من النباتات العشبية، يشبه ورقها ورق الصعتر، و من فوائدها أنها تمنع الثياب من السوس و الكاغد من الأرضة، و تحسن اللون و تنفع في ازالة الآثار البنفسجية من على الجلد.
السوس	عرق نباتي يسمى عرق السوس، يطبخ، فيجمع عصيره، فهو كثير المنافع
المحلب	شجر معروف بالاندلس و حبه يسمى الأراك، و شجرته تسمى اليسر و منه يؤخذ عود اليسر الموجود في جبل المنتلون الذي لا يوجد مثله و لا ينبت في ارض الا بالهند و الأندلس و يوجد السنبل الطيب في مدينة أكشونبة
الشمار	له اسم ثان الزاريانيج، نبات بري مشهور من فوائده أن ماءه يفتت الخصى و يدر البول و الطمث و يحد البصر و يفتح انسداد الكبد و الطحال

لقد كان للعلماء المسلمين دورهم و جهودهم التي شهد بها الجميع، و ليس من قبيل المبالغة القول أنه لولا هذه الجهود لضاع علم الطب، و ما زاد من قيمة منجزات الطب لدى المسلمين في أوروبا و حاجتهم إليها، هو حرمان الكنيسة الغربية من صناعة الطب، لأن المرض عقاب من الله، لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عمن استحقه و ظل الطب محجوزا عليه بهذه الحجة إلى ما بعد انقضاء العهد المسمى "عهد الإيمان"، عند استهلال ق 12م/6ه، أي إبان الحضارة الأندلسية [40]، كما كان ذلك من أهم الأسباب في تقليد الأوروبيين للمسلمين في طلب العلم بعلوم الطب إذ كان تسلط الكنيسة[41].

لقد كان الأندلسيون مولعين و مهتمين بالتأليف في مختلف العلوم، مما أدى إلى ظهور حضارة عربية إسلامية مزدهرة في شبه الجزيرة الأندلسية، ضمت كل أصناف العلوم في العصور الوسطى إذ تهافت عليها الأوروبيون من بقاع العالم يأخذون من منهلها العريق في دراساتهم و أبحاثهم لتترك آثارا واضحة و مؤثرة في ميادين العلوم على رأسها الطب[42].

و من باب الاعتراف، أنصف الكثير من المفكرين الأوروبيين هذه الحضارة، و كان منهم برنارد شو، الذي قال "إنني أعتقد أن رجلا كمحمد –صلى الله عليه و سلم- لو تسلم زمام الحكم في العالم بأجمعه لتم النجاح في حكمه، و لقاده إلى الخير، و حل مشكلاته على وجه يكفل السلام و الطمأنينة و السعادة المنشودة في عالم اليوم"[43]، باعتبار الرسول الكريم –صلى الله عليه و سلم- أول طبيب في الإسلام، من خلال ما قدمه من نصائح و توجيهات طبية، لازال العلم يكتشف أسرارها، بينما قدمها الرسول –صلى الله عليه و سلم- منذ مجيء الإسلام.

لقد كان من موسوعات الطب الإسلامية ما لم يوضع لها نظير في الضخامة و التمحيص، و قد ترجمت كلها إلى اللاتينية، و نقلت بين أطباء أوروبا، ليقرؤوا الكتب العربية ليستفيدوا منها في مزاولة الصناعة، إذ ترجم كتاب القانون لابن سينا في ق12م/6ه، و هو موسوعة جمعت خلاصة ما وصل إليه الطب عند العرب، و الإغريق، و الهنود، و السريان، و الأنباط، و ترجم كتاب الرازي سنة 1279م، و قد ظهر من برامج جامعة لوفان المحفوظة أن كتب الرازي و ابن سينا كانت هي المرجع المعول عليه عند أساتذة تلك الجامعة إلى أوائل ق17م.

و بالعودة إلى الأندلس فإنها كانت قد أمدت أوروبا بمرجعها الأكبر في الجراحة و تجبير العظام بكتاب "التعريف لمن عجز عن التصريف" لأبي القاسم خلف ابن العباس، حيث طبع باللغة اللاتينية في ق15م[44]، و اشتهرت مدن عديدة بتقديم خدمات طبية لم تكن إلا بالمدن الأندلسية، من ذلك قرطبة المقصد الكبير من المشرق و المغرب، و توافد عليها عدد كبير من الأمراء و رجال الدين و الفكر و العلم، حيث زارها حاكم مملكة ناڤارا (Navarra) "سانجو السمين ابن الملكة طوطة (Tota) للشفاء من سمنة المفرطة" حيث تم شفاؤه و علاجه، من أطباء قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر[45].

و من الأمراض التي كان للعرب الفضل في علاجها، الجنون، كغيرها من الأمراض الطبيعية، و الذي سماه الإفرنج المرض الإلهي، أو المرض الشيطاني لأنهم كانوا يحسبونه من إصابات الأرواح أو الشياطين، كما اقترنت بحوث العرب في الطب ببحوثهم في الكيمياء و التي استفاد منها الأوروبيون كثيرا، و ربما كانت فائدتهم من دروس العرب الكمية أعظم مما استفاد وه من دروسهم الطبية[46].

الخاتمة

من المتعارف عليه أن بلاد الأندلس شكلت معبرا علميا هاما، فقد اعترف بذلك الكثير من خيرة العلماء و الطبقة المثقفة من المجتمع الغربي، حيث بنى الأوروبيون صرحهم العلمي باللبنة الأولى التي قدمها العرب عموما، و عرب الأندلس خاصة، تلك البلاد التي أزهرت فيها حضارة المسلمين و بلغت أوجها، ثم تفقد من جديد، و ينزع ذلك الجزء من جسد الأمة الإسلامية، و العبرة من ذلك كله، ليس البكاء على الأطلال، أو الكلام فقط عن منجزات المسلمين ذلك الزمان، و إنما أخذ العبرة لإحياء الأمة و بعث صرحها العلمي المتين من جديد.

"إن الأوروبيين تناولوا مشعل العلم من أيدي العرب فاستضاءوا به بعد ظلمة و بلغوا بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضياء العميم الذي انكشف به أحدث العلوم، و لو لم يحمل العرب ذلك المشعل شرقا و غربا لكان من أعسر الأمور أن يقدح الأوروبيون نوره من جديد..."[47].

الهوامش

1- معازيز عبد القادر ، الطب النبوي: تمثلات و ممارسات – الرقية أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الفنون الشعبية، تلمسان، 1437-1438ه/2016م-2017م، ص:65، نقلا عن الحدار محمد حمزة إسماعيل ، المجمل في الآثار و الحضارة الإسلامية، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، 1979، ص:23.
2- معازيز عبد القادر ، المرجع نفسه، ص:66؛ نقلا عن: سالم مختار ، الطب الإسلامي بين العقيدة و الإبداع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1988، ص:52.
3- العقاد عباس محمود ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، (مصر ب.ت)، ص:34،33.
4- معازيز عبد القادر ، المرجع السابق، ص:66.
5- المرجع نفسه، ص:66.
6- العقاد عباس محمود ، المرجع السابق، ص:34،33.
7- العامري محمد بشر حسن راضي ، فصول في إبداعات الطب و الصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص:10.

8- هونكه زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبة)، تر: فاروق بيضون و كمال دسوقي، دار الجيل – دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993، ص:401.

9- بلاد الأندلس: الأندلس كلمة أطلقها المسلمون على معظم أنحاء الجزيرة الايبيرية الواقعة في الجنوب الغربي من قارة أوروبا و المراد بها عموما اسبانيا الإسلامية، سميت بتسميات متعددة قبل الفتح الإسلامي لها منها شبه الجزيرة(pemin sula iberica) وشبه الجزيرة الاسبانية (pemin sula espanola) و أفيوسا (ophiousa) و بلد الحيات(pais de serpieente)، و كلمة الأندلس اشتقها العرب من كلمة واندلوس و هي اسم قبائل الوندال الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في قم و استقرت في السهل الجنوبي الاسباني و أعطته اسمها، ثم جاء العرب و عربوا هذا الاسم إلى الأندلس ، وقيل أن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قوم يعرفون " بالأندلش "(بشين معجمة) فسميت بهم الأندلس (بالسين غير معجمة)، و قيل أنهم كانو مجوسا؛ وصفت بكونها بقعة كريمة طيبة التربة، و الخيرات فيها دائمة، و بها المدن الكثيرة، و القواعد العظيمة، و يقال أيضا أن أول من اختط الأندلس بنو طوبال بن يافث بن نوح سكنو الأندلس في أول الزمان، و ملوكهم مائة و خمسون ملكا، و سميت جزيرة الأندلس لأنها شكل مثلث و تضيق من ناحية الشرق، و تصلها بقارة أووروبا سلسلة جبال البرانس، و تتميز بمناخ جاف معتدل عموما على الرغم من التغيرات الشديدة التي تطرأ على درجة الحرارة في المناطق المرتفعة و المتوسطة، و قد أخذ لفظ أندلس يقل مدلوله الجغرافي شيئا فشيئا تبعا للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة الايبيرية، حتى صار لفظ الأندلس آخر الأمر قاصرا على مملكة غرناطة الصغيرة ؛ ينظر: الحميري محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار،تح: إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط2، 1984، ص12 و ما بعدها؛ المراكشي ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح: ج.س.كولان و إ.لفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط2، 1980، ج2، ص1 وما بعدها؛ و عن التطور السياسي في الأندلس؛ ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تح: الابياري ابراهيم ، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت، 1989، ص15 وما بعدها؛ ج.س كولان، الأندلس، تر: خورشيد إبراهيم و آخرون، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، مصر- لبنان، 1980، ص58و ما بعدها؛ العبادي أحمد مختار ، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية،(بيروت ب ت)، ص17 وما بعدها.

10-مارغريت لوبيز غوميز، "إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوروبا عبر الأندلس"، ضمن كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1998، ج2، ص: 1478.

11-عم الطب: بمفهومه المعاصر هو ذلك التخصص العلمي الذي ينظم المعارف الطبية مع مجموع المناهج التي تسمح بجمع العناصر الهامة في الوقاية و الشفاء و علاج الأمراض، و لقد كان من العلوم التي مارسها العرب منذ أقدم العصور لحاجتهم الماسة اليها في الحياة اليومية، أو هو كما ذكره ابن خلدون عبدالرحمن: " هذه الصناعة ضرورية في المدن و الأنصار لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء و دفع المرض عن المرضى بالمداواة ..."؛ ينظر: عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2001، ص 520؛ نهاد عباس زينل، الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس و أثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى (92-897ه/711-1492م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بغداد، 1433ه/2012م، ص24؛ معازيز عبدالقادر، الممارسات العلاجية التقليدية بمنطقة البيض، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجيستير، الجزائر، 1434-1435ه/2013-2014، ص19.

12-بالنسيا آنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (مصرب.ت)، ص:461.

13-عصر الخلافة الأموية في الأندلس: (316-422ه/929-1035م): بعد وفاة الأمير عبدالله خلفه حفيده عبدالرحمن الثالث بن محمد دون أعمامه، و أعمام أبيه و هو في سن23 سنة، عمل على جمع الكلمة و الوحدة و الطاعة استتب له المر سنة 316ه/929م، و اعلن عن قيام الخلافة الأموية، و لقب نفسه الناصر لدين الله، و تسلسل في الحكم خلال هذه المرحلة، الخليفة الحكم الثاني (المستنصر بالله)، ثم الخليفة هشام الثاني (المؤيد بالله)(363-399ه) و في هذا العهد أصبحت السلطة في يد صاحب الدولة المنصور بن أبي عامر(الدولة العامرية)، هو الحاجب المنصور محمد بن عبدالله بن بن عبدالله بن أبي عامر المعافري، و من بعد أبناؤه: عبدالملك المظفر، و عبدالرخمن شنجول، و قد حكم عدد كبير من الحلفاء الأمويين حتى عزل آخرهم هشام الثالث و أعلن الوزير أبو الحزم بن جاهور انتهاء الخلافة لعدم وجود من يستحقها ليصير الأمر شورى بين الوزراء و صفوة العلماء؛ ينظر: الفقي عصام الدين عبدالرؤوف ، تاريخ المغرب و الأندلس، مكتبة نهضة الشرق، (القاهرة ب ت)، ص192 و ما بعدها؛ العبادي أحمد مختار ، المرجع السابق، ص 167 و ما بعدها.

14-عبدالرحمن الناصر الثالث: (300-350ه/ 912 -961م) حكم خمسين سنة، فهو من أطول الملوك حكما، آنس فيه أعمامه مواهب و مخايل جعلتهم يقدمونه للحكم، يعد من أعظم ملوك العالم في العصور الوسطى، و مرحلة حكمه من أزهى و أرقى المراحل التاريخية التي مرى بها الأندلس، وركز سياسته الخارجية في ردع الخطر الفاطمي الشيعي في المغرب جنوبا، و خطر الدويلات المسيحية الاسبانية شمالا، و مقاومة الخطر النورماندي، وركز أيضا على علاقاته الدبلوماسية مع ملوك أوروبا؛ ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة...، مصدر سابق، ص 135 و ما بعدها؛ العبادي احمد مختار ، المرجع السابق، ص167 و ما بعدها؛ الفقي عصام الدين عبدالرؤوف ، المرجع السابق، ص 194 و ما بعدها.

15-الحكم المنتصر بالله: (350-366ه/ 961-976م)، هو الخليفة الحكم الثاني، اعتلى العرش و هو كبير في السن، كان عمره و قتئذ قد جاوز الخامسة و الاربعين، كان خبيرا في تدبير شؤون الدولة و عهد اليه بالاشراف على بناء مدينة الزهراء، كان منصرفا الى العلم و القراءة، و تصيد الكتب النادرة من كل مكان، وقد شكلت ساسته الخارجية استمرارا لسياسة والده الناصر؛ ينظر: العبادي أحمد المختار ، المرجع السابق، ص210 و ما بعدها؛ الفقي عصام الدين عبدالرؤوف ، المرجع السابق، ص 208 و ما بعدها.

16-قرطبة : قاعدة الأندلس و أم مدائنها و مستقر خلافة الأمويين بها، و آثارهم بها ظاهرة، وفصائل قرطبة و مناقب خلفائها أشهر من أن تذكر و هي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس؛ ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 456 و ما بعدها؛ العامري محمد بشير حسن راضي ، المرجع السابق، ص:13،12؛ سالم السيد عبدالعزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس – دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1997، ج2، ص9. 35 و ما بعدها.

17-الإبريشم (الجامع): كتاب يحتوي على مجموعة من الصفخات الطبية جمعت في اسبانيا، استفاد منها المعالجون في معالجة مرضاهم (Aphorismi) و يعني الجامع أو المجموع، و هناك من يرى أن الإبريسم أو الإبريشم معنى آخر مأخوذة من (أفورسيم) تأتي بمعنى الحكمة التي تجري مجرى القول الفصل الخاصل عن التجربة و الخبرة، و كان هذا المعنى هو الشائع بين أطباء الأندلس؛ ينظر: نهاد عباس زينل، المرجع السابق، ص.37.

18-العامري محمد بشير حسن راضي، المرجع السابق ، ص:56.

19-المرجع نفسه ، ص:401، 402.

20-الخزرجي ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهبية، 1883، ص:39.

21-سرقسطة: هي المدينة البيضاء، في شرق الأندلس، و هي قاعدة من قواعدها، يذكر أن إسمها مشتق من اسم قيصر، و هو الذي بناها، لها أربعة أبواب، تعرف بالبيضاء لأن أسوارها القديمة من حجر الرخام الأبيض، و كان الذي بنى المسجد الجامع بسرقسطة و مع محرابه خشن بن عبدالله الضعاني؛ ينظر: الحميري المصدر السابق، ص.317 و ما بعدها؛ ابن أبي أصيبعة الخزرجي، المصدر نفسه، ص:40.

22-نفسه، ص:41، بالنسيا آنخل جنثالث ، المرجع السابق، ص:461.

23-بالنسيا آنخل جنثالث ، المرجع نفسه، ص:462.

24-الخزرجي ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق، ص:41.

25-المصدر نفسه، ص:43؛ محمد بشير حسن راضي العامري، المرجع السابق، ص:17؛ بالنسيا آنخل جنثالث ، المرجع السابق، ص:463.

26-نفسه، ص:43.

27-نفسه ص:44؛ العامري محمد بشير حسن راضي ، المرجع السابق، ص:22،21.

28-نفسه، ص:45.

29-نفسه، ص:46.

30-نفسه، ص:46؛ العامري محمد بشري حسن راضي ، المرجع السابق، ص:23.

31-ديسقورديس: طبيب و عشاب يوناني، ولد في بلدة عين زربة قرب طرسوس جنوب آسيا الصغرى و لهذا سمي في المصادر الأوروبية (Discorides – Ain Zarbio) أي ديستتوريدس العين زربى، عاش في القرن الأول الميلادي، و اشتهر بكتاباته عن مركبات الأدوية من الأعشاب؛ينظر: دويرار حسين يوسف ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138ه-422ه/755م-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، 1994، ص:433.

32-ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص:47،46.

33-ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص:47 و ما بعدها؛ دويرار حسين يوسف ، المرجع السابق، ص:436،435؛ آنخل جنثالث بالنسيا، المرجع السابق، ص:460.

34-السمك عبد الكريم بن إبراهيم ، "الطب و الأطباء في الحضارة الإسلامية – قراءة في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة"، في مجلة: أحوال المعرفة، ع$_{76}$-س$_{19}$، صادرة عن مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1436ه/2014م، ص:57.

35-ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص:48،47 و ما بعدها؛ العامري محمد بشير راضي ، المرجع السابق، ص:16 و ما بعدها.

36-ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص:39؛ العامري محمد بشير حسن راضي ، المرجع السابق، ص:74.

37-بالنسيا آنخل جنثالث ، المرجع السابق، ص461.

38-العامري محمد بشير راضي ، المرجع السابق، ص:76.

39-زينل نهاد عباس، الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس و اثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى (92-897ه/711-1492م)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص 343 و ما بعدها.

40-العقاد عباس محمود ، المرجع السابق، ص:35.

41-السمك عبد الكريم بن إبراهيم ، المرجع السابق، ص:58.

42-العامري محمد بشير راضي ، المرجع السابق، ص:10.

43-السمك عبد الكريم بن إبراهيم ، المرجع السابق، ص:58.

44-العقاد عباس محمود ، المرجع السابق، ص:37؛ بالنسيا آنخل جنثالث ، المرجع السابق، ص:464.

45-العامري حسب بشير راضي ، المرجع السابق، ص:10
46-العقاد عباس محمود ، المرجع السابق، ص:40،39
47-المرجع نفسه، ص:42

المصادر و المراجع

1- الخزرجي ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المطبعة الوهبية، 1883
2- بالنسيا آنخل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (ب.ت).
3- دويرار حسين يوسف ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138ه-422ه/755م-1030م)، مطبعةالحسين الإسلامية، مصر، 1994،
4- هونكه زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوروبة)، تر: فاروق بيضون و كمال دسوقي، دار الجيل – دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1993
5- زينل نهاد عباس، الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس و اثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى (92-897ه/711-1492م)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013
6- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، (ب.ت)
7- السمك عبد الكريم بن إبراهيم ، "الطب و الأطباء في الحضارة الإسلامية – قراءة في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة"، في مجلة: أحوال المعرفة، ع76-س19، صادرة عن مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1436ه/2014م
8- الحدار محمد حمزة إسماعيل ، المجمل في الآثار و الحضارة الإسلامية، مكتبة زهرة الشرق، القاهرة، 1979
9- سالم مختار ، الطب الإسلامي بين العقيدة و الإبداع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1988
10- غوميز مارغريت لوبيز ، "إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوروبا عبر الأندلس"، ضمن كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1998، ج2.
11- العامري محمد بشر حسن راضي ، فصول في إبداعات الطب و الصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971
12- معازيز عبد القادر ، الطب النبوي: تمثلات و ممارسات – الرقية أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الفنون الشعبية، تلمسان، 1437-1438ه/2016م-2017م